إدغار آلا نبو Edgar Allan Poe

وأدب الرّعب القوطي

أوّلا- الأدب القوطي:

1- تعريف:

أصل الكلمة جيرماني -نسبة إلى ألمانيا-، وهو طراز معماريّ شهير، وُجد في غرب أوروبا في الفترة الممتدّة ما بين القرن الثّاني عشر والقرن السّادس عشر، وهو طراز يمتاز بالأقواس المدبّبة والأعمدة الطّويلة، والقباب؛ ويرمز إلى الأدب الرّومانسي المولع بالغموض، حيث القلاع المظلمة والبرق والرّعد، والنّفوس المعقّدة المجنونة.

2- نشأة أدب الرّعب القوطي:

أوّل ظهور للفظ قوطيّ، ظهر في قصّة "قلعة أوترانتو The Castle of Otranto" سنة 1765، حيث استعمل مؤّلفها هوراس والبول Horace Walpole" تلك اللّفظة "قوطي"، وكانت القصّة مرعبة وكئيبة جدّا، يعتبرها النّقاد الميلاد الحقيقي لمفهوم الرّعب القوطي الذي أثّر فيما بعد في الكثير من الرّوايات، القصص القصيرة، الشّعر، وحتّى في صناعة الأفلام إلى يومنا هذا.

3- سمات أدب الرّعب القوطي:

أ- القلعة المهجورة:

حيث تدور الأحداث في قلعة كبيرة وقديمة، عادة ما تكون قابعة في الظّلام، تحتوي على ممرّات سريّة و أبواب خفيّة، متصلة بكهوف تحت الأرض، وعادة ما تكون بيوتا للكائنات المخيفة أو المشوّهة، مثل: الوحوش، الزّامبي Zambie، المستذئبين، ومصّاصي الدّماء...

أمّا في العصر الحديث، فيتمّ الاستعانة ببيوت مهجورة يمكن أن تكون قديمة أو حديثة، غارقة في الظّلام ويحيط بها الغموض الرّهيب.

ب- جوّ الرّعب من المجهول:

وهو أكثر ما يميّز هذا النّوع في أدب الرّعب، حيث تشعر الشّخصيات برعب من شيء غير معروف، فلا يُدرى إن كانوا قد رأوا شخصا فعلا يفتح النّافذة أم أنّ الرّياح الشّديدة هي التي فتحتها؛ وهل ما سمعوه للتّو هو وقع أقدام فعلا على الأرض المتهالكة، أم أنّها لم تكن غير هسهسات اللّيل البهيم..

أمّا في العصر الحديث، فنجد صورا لجثث تمّ تشويهها بطريقة تدعو إلى التّساؤل... أيّ نوع من الوحوش يمكنه فعل هذا، وأحيانا صور لجثث لا دماء فيها أصلا..

ت- الرّعب المتعلّق بنبوءات قديمة:

وهي عبارة عن أساطير ونبوءات قديمة متعلّقة بالقلعة نفسها أم بسكّانها..وعادة ما تكون الأسطورة غامضة، مرعبة، وغير مفهومة.

أمّا في العصر الحديث، فيتمّ استبدال تلك الأساطير والنبوءات القديمة بالأساطير والخرافات المحلّية الخاصّة بكلّ بلد.

ج- الرّؤى واللّعنات:

بعض الشّخصيات تكون قادرة على رؤية أشياء غير حقيقية، بمثابة رؤى وتحذير لأحداث مشؤومة قد تقع للشّخصية الأساسية أو للشّخصيات الأخرى.

كما أنّنا نرى بعض التّعاويذ والطّلاسم التي تُعتبر بمثابة اللّعنات التي تطارد الشّخصيات حتّى النّهاية، فربّما تقتلهم، وربّما يستطيعون النّجاة منها.

ح- أحداث خارقة للطّبيعة وغير قابلة للتّفسير:

وهي عبارة عن أحداث غريبة ومرعبة مثل رؤية أشباح أو تماثيل أو صور تدبّ فيها الحياة، وفي بعض الأحيان نجد تفسيرا للأحداث في نهاية القصّة، وفي أحايين كثيرة تنهي القصّة دون تفسير لما حدث، بل يتم الاكتفاء بالإشارة إلى أنّها ظواهر خارقة للطّبيعة ولا تخضع لحدود العقل والمنطق.

د- مشاعر الرّعب:

وهي صفة مميّزة جدّا، حيث تعاني الشّخصيات من غضب رهيب أو خوف هائل، ، وتكثر فيها المشاهد المليئة بالصّراخ، والألم، والبكاء والتّوسّل.

ر- المرأة المرتعبة:

هي أكثر الشّخصيات الرّئيسة في أدب الرّعب، حيث تواجه المرأة لوحدها مواقف مخيفة ومرعبة، تدفعها للصّراخ بجنون، وقد تفقد الوعي من هول ما رأت، وعادة ما تكون وحيدة أو تمّ التّخلّي عنها مصادفة أو عمدا، وتكون عرضة للعنف الجسدي المريع، ينتهي بها الأمر في كثير من الأحيان إلى الموت الشّنيع.

و- استخدام عناصر الطّبيعة:

مثل الأمطار التي تدلّ على الحزن، الرّياح العنيفة التي تهبّ دون توقّف، الأبواب العتيقة التي لها أزيز غير محبّب في النّفس، أصوات أقدام تقترب، أضواء مشتعلة في غرف خالية، ضوء البرق وهزيم الرّعد.

ي- المشاعر والنّفسيات المعقّدة:

مشاعر حبّ قويّة تكنّها بعض الشّخصيات لأناس تنتظر منهم التّفاعل معها، ولكن لا يتمّ ذلك في كثير من الأحيان، وقد تكون المشاعر متبادلة ولكن تكون هناك معوّقات تحول دون ذلك، كمعارضة الأهل، أو نفي الحبيب أو حبسه وتعذيبه، أو اختفائه دون تفسير واضح، وأحيانا تسبّب تلك المشاعر عقدا نفسية أو جنونا، تنتهي بالانتحار أو الانتقال إلى حياة جدية والشّفاء من ذلك الجنون.

وختاما، فإنّ رواية الرّعب القوطي، تكون مليئة بالرّعب غير المنطقي، وبالمشاعر الجيّاشة والأحلام في الوقت نفسه، غير أنّ هدفها يبقى واحدا، وهو رفض أسس المجتمع العاقل المنطقي.

ثانيا- إدغار ألان بو Edgar Allan Poe:

هو الشّاعر الذي تخيّله "بودلير " (ثريا، سعيدا، ... يهرع إلى الأدب أحيانا وسط انشغالاته الكثيرة في حياة مترفة)، عاش في حقيقة الأمر حياة سمّمها الفقر، وأظلمتها التّعاسة)[1].

يُعتبر "إدغار ألان بو" الأب الرّوحي لأدب الرّعب في العالم، ورائد من روّاد القصّة القصية، وناقد أدبيّ وشاعر. اشتهرت حياته بالأسرار والمآسي الحزينة التي ألقت بظلالها على أعماله الأدبية. كان "بو" أوّ كاتب أمريكي يسعى إلى كسب لقمة العيش من خلال الكتابة وحدها، ممّا أدّى إلى حياة صعبة ماديّا ومهنيا. ولم يكن الأديب الأمريكي ذا شخصية سويّة على الإطلاق، بل كان يعاني من عدّة مخاوف، أبرزها هو الخوف من أن يُدفن حيّا، وكان يتجوّل في المدن المختلفة باحثا عن شيء لا يعرفه لا هو ولا غيره.

كان ذا شخصية حالمة، وغارقة في الكآبة، لكنّه كان ذا عبقرية لا ينكرها أحد، إذ لم يكن توصّله إلى نظرية 'الانفجار العظيم' الشّهيرة كتفسير لنشأة الكون، قبل ظهورها بـ 70 عاما عن عبقريته التي لم تظهر للعام إلاّ بعد موته بسنوات طويلة.

وُلد في مدينة بوسطن Boston، في شهر يناير، سنة 1809؛ هجر والده الأسرة بعد ولادته بعام واحد، وتوفّيت والدته في العام التّالي. عاش مع أسرة حاضنة على الرّغم من أنّهم لم يعتمدوا تبنّيّة بشكل رسمي، وبعد أن تمّ توزيع الإخوة الثّلاثة، كان "بو" من نصيب أسرة من ولاية "فرجينيا".

اهتمّ والد الجديد بتعليمه حتّى وصل إلى السّنة الأولى من دراسته الجامعية، لكنّ علاقته التي كانت شديدة الاضطراب به، جعلته ينفصل عنه؛ وخاصّة بعد أن أصبح "إدغار" مدمنا. فهاجر إلى بوسطن، ولكنّه كان معدما، فبدأ بكتابة الشّعر، دون أن يحظى بفرص كبيرة للنّشر.

انضمّ إلى الكلّية الحربية في الجيش الأمريكي كجندي، تحت اسم مستعار، لكنّ ذلك لم يدم طويلا. وفي هذه المرحلة، استسلم "بو" لقدره، ولم يجد مخرجا لحياته سوى الكتابة التي كان يكبتها بداخله إرضاء لجميع

---

(1)Jean Rousselot : Edgar Allan Poe –Poètes d'aujourd'hui-, Pierre Seghers éditeur, Paris, 1962, p :9.

من حوله، وهو الذي بدأ بقراءة الشّعر وكتابته منذ سنّ الخامسة، حين لاحظ أحد أساتذته تفوّقه الخارق فقال لأسرته ذات مرّة: 'هذا الولد خُلق شاعرا'.

ومع فشله في أن يصبح ضابطا ذا قيمة في الجيش، فقد أعلن رغبته الجامحة في أن يكون كاتبا وشارعا فحسب.

فاز "بو" بجائزة القصّة القصيرة وهو في سنّ 24، وأصبح بالتّالي ناقدا في مجلّة "رسول الأدب الجنوبي"×؛ وبعد ذلك بفترة قصية تزوّج من ابنة عمّته "قيرجينيا" عام 1836، وكان "بو" حينها في سنّ 27.

أصبح "إدغار" مشهورا في ربوع الولايات المتّحدة بعد أن نشر قصّته الشّهيرة "الغراب". وفي سنة 1845، تحطّمت حياة "إدغار" بسبب إدمانه على الكحول، ممّا أعطى حياته سمعة سيّئة في مجتمع القرن التّاسع عشر المحافظ.

ومع ذلك ظلّ يكتب قصصا رائعة، أشهرها: "جرائم القتل في شارع المشرحة"، "منزل آشر"، "القطّ الأسود"، و"قصّة في القدس". وفي كلّ مراحل حياته لم يستطع "بو" تأمين عمل يسدّ به احتياجات معيشته، وديونه المتراكمة، الأمر الذي كان يدفعه دائما إلى العودة إلى الإدمان.

حياة "بو" العاطفية لم تحمل له السّعادة إلاّ لفترات قصيرة، بعد أن تزوّج من "فرجينبا" - ابنة عمّته- التي أحبّها حتّى الموت. غير أنّ هذه السّعادة لم تدم طويلا إذ أصيبت فرجينيا بمرض عضال، وماتت "فرجينيا" بعد خمس سنوات من زواجهما، وكان موت "فرجينيا" التي كتب فيها أجمل الأشعار سببا في غرقه في الإدمان على الكحول. ويُقال أنّه كتب فيها أجمل أشعاره منها: "أنابيل لي" حين ماتت.

بعد موت فرجينيا، ارتبط بعلاقة عاطفية مع الشّاعرة "سارة هيلان"، وبعدها حاول الزّواج من امرأة ثالثة؛ ولكن رغم تعددّ علاقاته العاطفية، إلاّ أنّ جميع النّساء اللّواتي عرفهنّ قلن بأنّه لم يحبّ إلاّ امرأة واحدة هي "فرجينيا" التي يستطع "بو" تحمّل موتها فعكف على الخمر، والعزلة عن العالم في غرفة مظلمة لا يؤنسه فيها غير قطّته الأليفة وأوراق وقلم للكتابة.

وظلّ في حزنه عليها، إلى أن عُثر عليه ميتا في إحدى الحدائق العامّة بعد موت حبيبته بنحو عامين، ولم يتجاوز الأربعين من عمره.

إدغار ألان بو واحد من أعظم الكتّاب والشّعراء في العالم، تبرز في كتاباته نقاط كآبته وقلقه، ومواهبه الخارقة التي شاركت شخصيته الإبداعية المغايرة التي لم يفلح الدّارسون حتّى تفكيك ألغازها ودخول سراديبها، فكتابات "بو" غاية في الصّعوبة وغاية في الجمالية غير أنّ فهمه من قبل الآخرين، كان صعبا، فهو في نظر كتّاب جيله ذلك "الشّاعر الملعون" ورمز الشّاعر المتسكّع المعاكس للتّيار، المتمرّد على كلّ المدارس والتّيارات الأدبية السّابقة له، المدمن، المتفلّت من كلّ القوانين، الثّائر على كلّ التّقاليد، الحزين حتّى الموت، الكئيب حتّى الثّمالة، والمتألّم والمحبّ والعاشق حتّى الجنون.

ولكنّه، وككلّ العباقرة، لم يُقدّر فنّه إلاّ بعد موته بـأكثر من 100 عام.

ويبقى السّؤال: أيّ لعنة رافقت حياة "بو"؟ هل هي حقّا لعنة الواقع الحزين من حوله؟، أم لعنة عبقريته الفذّة الثّقيلة على حياة النّكسات في سنّه المبكرة؟، أم لعنة المشاعر الجيّاشة الفيّاضة التي لا يقوى عليها قلب إنسان؟

ملاحظة:

كلّفتُ الطّلبة بقراءة قصّة "انهيار منزل آشر" لإدغار ألان بو (للتّطبيق).